شعراء الوطنية

البـــارودى

للأستاذ عبد الرحمن الرافعى

تتمة

فى مقالنا السابق تحدثنا عن (محمود سامى البارودى) وعن شعره فى منفاه . واليوم نتم الحديث عن شعره الوطنى

يشيد بعظمة الأهرام

قال يصف (الأهرام) ويشيد بعظمتها :

سل (الجيزة) الفيحاء عن (هرمى) مصر
لعلك تدرى غيب ما لم تكن تدرى
بناءان ردا صولة الدهر عنهما
ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر
أقاما على رغم الخطوب ليشهدا
لبانيهما بين البرية بالفخر
فكم أمم فى الدهر بادت وأعصر
خلت وهما أعجوبة العين والفكر
تلوح لآثار العقول عليهما
أساطير لا تنفك تتلى إلى الحشر
رموز لو استطلعت مكنون سرها
لأبصرت مجموع الخلائق فى سطر
فما من بناء كان أو هو كائن
يدانيهما عند التأمل والخبر

وختمها بقوله :

فيا نسمات الفجر ادى تحيتى
إلى ذلك البرج المطل على النهر
ويا لمعات البرق إن جزت بالحمى
فصوبى عليها بالنثار من القطر
عليها سلام من فؤاد متيم
بها لا بربات القلائد والشذر (١)
ولا برحت فى الدهر وهى خوالد
خلود الدرارى والأوابد من شعرى

شعر القتال

ومن قصيدة له فى وصف إحدى المعارك التى خاضها ويبدو منها مبلغ شجاعته وصبره على أهوال القتال

ولما تداعى القوم واشتبك القنا
ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
وزين للناس الفرار من الردى
وماجت صدور الخيل والتهب الضرب
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا
سقينا بكأس لا يفيق لها شرب
صبرت لها حتى تجلت سماؤها
وإنى صبور إن ألم بى الخطب

الفساد فى عهد إسماعيل

وقال من قصيدة يصف سوء الحكم وظلم الحكام فى عهد إسماعيل ، وينصح قومه بالمطالبة بحقوقهم والمبادرة بإصلاح شؤونهم قبل أن تسوء العقبى . وهى من شعره السياسى الوطنى الرائع :

قامت به من رجال السوء طائفة
أدهى على النفس من بؤس على ثكل
من كل وغد يكاد الدست يدفعه
بغضا ويلفظه الديوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت
قواعد الملك حتى ظل فى خلل

إلى أن قال :

فبادروا الأمر قبل الفوت وانتزعوا
شكالة الريث فالدنيا مع العجل

(١) الشذر صغار اللؤلؤ

وطالبوا بحقوق أصبحت فرضا
لكل مفترض سهما ومغتنم
حتى تعود سماء الأمن ضاحية
ويرفل العدل فى ضاف من الحلل

الجيش والدستور

وقال فى أوائل عهد الخديو توفيق يدعو إلى الشورى وتقوية الجيش :

أمران ما اجتمعا لقائد أمة ... إلا جنى بهما ثمار السؤدد
(جمع) يكون الأمر فيما بينهم ... (شورى) وجند للعدو بمرصد

ينعى بالدسائس

وقال من قصيدة يشكو فيها من الدسائس التى كانت تحاك حوله :

نقموا على حميتى فتألبوا ... حزبا على وأجمعوا ما أجمعوا
وسعوا بقربتهم فلما صادفوا ... سمعا يميل إلى اللام توسعوا
لاعيب فى سوى حمية ماجد ... والسيف يغلبه المضاء فيقطع

العودة إلى الوطن

وقد عاد إلى الوطن سنة ١٩٠٠ بعد أن فقد نور عينيه فى منفاه . فاستقبل مصر بقصيدته التى مطلعها :

أبابل مرأى العين أم هذه مصر
فإنى أرى فيها عيونا هى السحر
فإن يك موسى أبطل السحر مرة
فذلك عصر المعجزات وذا عصر

إلى أن قال

وإنا مروا تأبى لى الضيم صولة ... مواقعها فى كل معترك حمر
أبى على الحدثان لا يستفزنى ... عظيم ولا يأوى إلى ساحتى ذعر

عبرة الحوادث

ومن قصيدة له قالها بعد عودته من المنفى تفيض توجعا لحالة البلاد بعد أن جثم الاحتلال على صدرها . وقد تذكر عندما مر بقصر الجزيرة أيام إسماعيل حين كان فى أوج سلطانه . وما انتهى إليه أمره من خلع وخسران . وتذكر أخطاءه التى كان لها أثرها فى التمهيد للاحتلال . فلم يترحم على عهده . ونظم هذه القصيدة معتبرا ومذكرا وهى من آيات الشعر فى العظة والاعتبار . قال :

هل بالحمى عن سرير الملك من بزع
هيهات قد ذهب المتبوع والتبع !
هذى (الجزيرة) فانظر هل ترى أحدا
ينأى به الخوف أو يدنو به الطمع
أضحت خلاء وكانت قبل منزلة
للملك منها لوفد العز مرتبع
فلا مجيب يرد القول عن نبأ
ولا سميع إذا ناديت يستمع
كانت منازل أملاك إذا صدعوا
بالأمر كادت قلوب الناس تنصدع
عاثوا بها حقبة حتى إذا نهضت
طير الحوادث من أوكارها وقعوا
لو أنهم علموا مقدار ما قفرت
يد الحوادث ما شادوا ولا رفعوا
دارت عليهم رحى الأيام فانشعبوا
أيدى سبا ونخلت عنهم الشيع
كانت لهم عصب يستدفعون بها
كيد العدو فما ضروا ولا نفعوا
أين العاقل بل أين الجحافل بل
أين المناصل والخطية الشرع ؟
لا شئ يدفع كيد الدهر إن عصفت
أحداثه أو بقى من شر ما يقع
زالوا فما بكت الدنيا لفرقتهم
ولا تعطلت الأعياد والجمع
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر
وإنما صفوه بين الورى لمع